The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 2, Issue 1, January - March 2024, Page No: 168-180
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2023: 3.733 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.63 ISI 2023: 0.383

التفسير الطبيعي في العصر الهيلينستي

محمد ضو إبراهيم المريض *
قسم الفلسفة، كلية الأداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

Natural Interpretation in the Hellenistic Era

Mohammed Dhaw Abraheem Almareedh *
Department of Philosophy, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Bani Walid, Libya

*Corresponding author mohammedemraid1985@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2024-02-10 تاريخ القبول: 2024-01-24 تاريخ الاستلام: 2023-12-08

الملخص

يهدف هذا البحث لدراسة الاختلافات بين أبيقور وديمقريطس حول مفهوم الطبيعة والذرات من حيث صفاتها وأشكالها وأوزانها، بالإضافة لمشكلة العلية والجبرية، فبالرغم من الاختلاف بينهما إلا أنهما يتفقان معا في التسليم بفكرة قدم العالم وأبديته، فلا مجال لديهما للقول بفكرة الخلق أو الأحداث في الزمان، ويرجع هذا الموقف إلى اعتقاد كل من ديمقريطس وأبيقور بأن العالم ليس من صنع الآلهة، بل هو موجود منذ الأزل بدون أن تتدخل الآلهة في إيجاده وحركته، وعلى أيه حال فإنه يبدو أن سيطرة النزعة الأخلاقية على التفسير الطبيعي عند أبيقور كانت سبباً في اختلاف موقفه عن ديموقريطس في نظرته إلى طبيعة العالم وجبريته الآلية، وعلى نظرية الانحراف اختلف حولها المؤرخون هي من وضع أبيقور وأم أنها إضافة قام بها بعض تلاميذه؟ والمؤكد أنه لا يوجد أثر لهذا النظرية في أي من الشذرات التي وصلتنا عن أبيقور.

ويرى الذين ينفرون من أن ينسبوا هذه النظرية إلى أبيقور، لأنهم يجدونها مناقضة لبقية جوانب طبيعياته، أو أولئك الذين يحكمون عليها بأنها غير لازمة يوجهون لها مأخذين من جهة أولى، تظهر هذه النظرية أنها تدخل نصيباً من اللامعقولية في فلسفة تسعى إلى معرفة الطبيعة ومن جهة ثانية تحل عقدة مشكلة حلاً خرافياً بأن تدس إليها ما تنزله على المسرح الأحداث في مركبة آلية، بحيث أن فلسفة أبيقور بمقدار ما هي مذهب طبيعي يطلب إلينا أن نعيش في وفاق مع الطبيعة، تجعل من الطبيعة معياراً، بل حكمة لهذا تلقى في المذهب الابيقوري شيئاً من إعلان مبادئ غائي.

الكلمات المفتاحية: العصر الهيلينستي، المدرسة الأبيقورية، أبيقور، ديمقريطس.

Abstract

This research aims to study the differences between Epicurus and Democritus regarding the concept of nature and atoms in terms of their qualities, shapes, and weights, in addition to the problem of causality and determinism. Despite the difference between them, they agree together in accepting the idea of the antiquity and eternity of the world. They have no room to say about the idea of creation or events in time. This position leads to the belief of both Democritus and Epicurus that the world is not made by the gods, but rather has existed from eternity without the gods interfering in its creation and movement. In any case, it seems that the control of the moral tendency over the natural interpretation according to Epicurus was a reason for his different

position from Democritus in His view on the nature of the world and its mechanical determinism, and on the theory of deviation over which historians disagreed, was it developed by Epicurus or was it an addition made by some of his students? It is certain that there is no trace of this theory in any of the fragments that have reached us from Epicurus.

Those who are reluctant to attribute this theory to Epicurus, because they find it contradictory to the rest of the aspects of his naturalism, or those who judge it to be unnecessary have two objections to it. On the one hand, this theory shows that it introduces a share of irrationality into a philosophy that seeks to know nature, and on the other hand. You solve a problem knot in a mythical way by inserting into it what events bring down on the stage in a mechanical vehicle, so that the philosophy of Epicurus, insofar as it is a natural doctrine that asks us to live in harmony with nature, makes nature a standard, or even a wisdom, and for this reason it receives in the Epicurean doctrine something of a revelation. Teleological principles.

Keywords: Hellenistic era, Epicurean school, Epicurus, Democritus.

تمهيد:

عندما تتحدث عن العصر الهيلينستي فإنه يعني الثقافة الهلنستية التي انتشرت في الاقطار الواسعة والتي تكونت منها امبراطوريه لإسكندر حيث امتد العصر الهيلينستي حتى زمن المسيح تقريبا، وأن الحكم الروماني أخذ يحل محل الحكم الهيلينستي تدريجياً من بداية التاريخ الميلادي. [1]

وبعد وفاة الاسكندر 323 ق. م تصبح الفلسفة الارسطوطالية ركيزة معظم المدارس الفكرية في الامبراطورية المقدونية أولاً، ثم الرومانية التي خلفتها والتي نشأت أنحاء الإمبراطورية الأولى، لاسيما في الإسكندرية والشرق الأدنى ظهرت مدارس عدّة مهّدت لانتشار الفلسفة اليونانية في أنحاء العالم القديم، وأهم هذه المدارس التي سنتناولها تباعاً (الرواقية والأبيقورية) حيث كانت تنتمي إلى التراث السقراطي. [2]

بقيت المدرسة الأبيقورية قائمة بذاتها ما يزيد عن خمسة قرون، مخلصة إلى تعاليم مؤسسها إخلاص فريد من نوعه، برغم ما لاقته من منافسات وصراعات وعدوات شديدة، بينما كان انشقاق وتشبع ينخران المدرسة الأخرى بدون هوادة، ماعدا أتباع أبيقور الذين يعتصمون بتعاليم استاذهم ويحافظون على تعاليمه وعلى وحده مدرستهم، إلا أن الديانة المسيحية لعبت دوراً كبيراً من انحلال المدارس القديمة قامت بتشويه مذاهبهم، ولم تسلم مدرسة والأبيقورية من هذا التشويه حيث كانت تتعارض مع أهم أركان تعاليم الكنيسة حيث اتهمت الكنيسة المدرسة الأبيقورية بالكفر والزندقة، وكان اسم الأبيقورية العدو للكنيسة .

وساهم شارون ايضاً في إعادة الاعتبار إلى والأبيقورية مناديا بضرورة تطهير الدين الحق من كل أنواع الخرافة، التي ستبعد المؤمن وتجعله يعيش في خشيه من غضب الإله المنزّه في الحقيقية عن كل صفات الإنسانية، وفي القرن السابع العاشر لم يتأخر ديكارت نفسه عن الاعتراف بأن الفضيلة الرواقية نظرا لقسوتها ومحاربتها للذة، في حين لم يبتعد أبيقور على الصواب لما وضع السعادة والغبطة في المتعة عموماً، أي في رضي الفكر، ونجد ايضاً " هبوس " الذي كان أبيقورياً باعتناقه المذهب الذّري القديم، أما " اسبينوز " حيث كانت فلسفته الأخلاقية عبارة عن تأليف ما بين الأبيقورية والرواقية حيث شاهد القرن الثامن عشر انتشار كبيراً للأخلاق واللذة. [3]

كما تعد الفلسفة الرواقية في ذاتها، وفي صورتها، التي ظهرت بها عند الشراح المتأخرين مصدرا عظيم الشأن لجملة من أفكار الفلسفات الدينية اللاحقة، في المسيحية وفي الإسلامية على حد سواء، ولا نعد الصواب إذا اعتبرنا الفلسفة الرواقية ذات تأثير على الفلسفات اللاحقة وفي فلسفه أفلاطون وأرسطو،

([1]) جورج سارتون: تاريخ العلم، ج3، ص32.

([2]) ماجد فخري، أرسطو المعلم الأول الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1977.

([3]) جلال الدين السعيد: أبيقور رسائل الحكمة، دار العربية، القاهرة، سنة 1991 م.

باعتبارها وسيطا لنقل نضج الأفكار الفلسفية اليونانية، ويمكن القول أن أغلب محاولات التوفيق بين كثير من الأفكار الفلسفة وحقائق الوحي في فلسفات العصر الوسيط، قد وجدت معينا لا ينضب في آراء الرواقيين عن " الناموس الإلهي " و" القدر والعناية " التي تكشف عنها حكمة الرواقي وتعتبر تلك الآراء التي كفلت بقاء فلسفة الرواقية عند الفلاسفة عبر العصور . [4]

ويظهر تأثير واضح للرواقيين في مناحي التفكير الفلسفي، من الإلهيات والطبيعيات إلى الأخلاق والسياسة، ولهم موقف خاص بهم متميز عن موقف كل من أفلاطون وأرسطو وأبيقور، ولم تعدم في آرائهم الأصالة والتجديد لتقاليد الفلسفة اليونانية في العصر الهيلينستي، ومبعث الاهتمام بالفلسفة الطبيعية على وجه الخصوص هو مذاهب إلية أعلام الرواق بدءاً من زينون كما أن الطبيعيات عندهم كانت تشتمل على اللاهوت، وهي أساس المعرفة، أو هي بمعنى بداية الفلسفة ونهايتها في آن واحد وأن المنطق أداتها أو القشرة التي تصون البيضة.[5]

أولاً- المدرسة الأبيقورية:

أ- نشأة ابيقور:

ولد ابيقورس الأثيني مؤسس المدرسة الأبيقورية في جزيرة ساموس حوالي سنة 341 ق. م، ووفد على أثينا في سن الثامنة عشر حيث انه تعلق بادئ الأمر في فلسفة ديموقريطس في النزعة الذرية غير أن دراسته للمذاهب الأولى للفلسفة لا تبدو أنها دراسة مستعصية، وحياته كانت تتسم بالاحترام ولقد نقلها إلى أثينا وأسس مدرستهم عام 806 ق. م، والفلسفة الأبيقورية هو الذي أسسها وهو الذي أكملها، وليس هناك أبيقور لاحق اضاف أو غير الكثير في المعتقدات التي وضعها مؤسس المدرسة وتوفى 270 ق .م، وينسب إليه عدد كبير من الكتب، ويدور قسم منها على مسائل طبيعية وقسم آخر على مسائل اخلاقية مثل في الطبيعة والذرات والخلاء ومآخذ على الطبيعيين في الآلهة . [6]

ولم يصلنا منها إلا ثلاث رسائل الأولى موجهة إلى هيرويتس في الطبيعيات، والثانية إلى بيثوكليس وفي الفلك والآثار العلوية والثالثة إلى مينوقيوس في الأخلاق، وحيث قسم الفلسفة إلى ثلاثة أقسام: القانون، والطبيعيات، والأخلاق ويعتبر المذهب الأبيقوري موغل أكثر في الناحية العلمية على الرواقية، فبالرغم من أن الرواقية تلحق المنطق والفيزياء بفلسفة الأخلاق، فإنما أسبقه الرواقيون من أهميه وعناية على المذاهب الخاصة بمعيار الحقيقة وطبيعة العالم والنفس . [7]

ويروي أن شغف أبيقور بالفلسفة كبيراً، حيث كان يدرس التصورات التي كان وضعها هزيود عن نشأة الكون، وقوله بتولد كل الأشياء عن العلماء، فلما سأل أبيقور معلمه عن أصل العلماء أنفسهم لم يحصل على جواب يرضي فكره المتعطش إلى الحقيقة سئم ما كان يتلقاه من دروس، وراي أن عليه يعرف حقيقة ما قاله الفلاسفة في مسألة أصل الوجود، ولهذا قصد أثينا، بلغت مؤلفات أبيقور الثلاثمائة مؤلف ضاع أكثرها ولم يبق منها سوى الثلاث الرسائل التي ذكرناها سابقا، وتم نشر هذه الرسائل الثلاث في ليبزج عام 1887، وترجمها إلى الفرنسية " صولوفين " وهذه الرسائل الثلاث حفظها لنا ديوجينيس اللايرسي في القرن الثالث بعد الميلاد في كتابه المعروف حياة المشاهير الفلاسفة، ويقع هذا الكتاب في عشر أبواب خصص العاشر منها الأبيقور، ويعتبر هذا الباب أحد مصادرنا على هذه المدرسة . [8]

أما مضمون الرسائل الثلاثة، فالرسالة الأولى وهي موجهة إلى هيردوت تعرض المبادئ العامة لتفسير الطبيعة، وتلخص أهم ما ينبغي على الطبيعة، أما الرسالة في أصالتها مشكوك فيها، والأرجح أنها من تحرير أحد أتباع أبيقور من الجيل الأول، وفي هذه الرسالة تطبيق لمبادئ الفيزياء الأبيقورية على

([4]) O, Amine m La Stoicism et Pensee Mosul Mane La Revue Thomiste No, 1959, P

([5]) Anton Dumitriu History Of Logic,Engl.trens, Abacus Press, Tunbridge WII, Kent England, 1977,v,I, P216.

([6]) ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص165-166.

([7]) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة سنة 1987 .

([8]) جان بران: الفلسفة الأبيقورية، تعريب وتعليق جور أبوكسم، قدم له عدل العوا الأبجدية للنشر، ط1، دمشق، سنة 1992، ص 36 .

الآثار العلوية، أما الثالثة نجد الرسالة الموجهة إلى منكايوس تحريضاً على التفلسف، ومن أجل استعادة صحة النفس بالتخلص من الخوف . [9]
أما عن مؤلفاته التي تضمنت آرائه الفلسفية التي قسمها أبيقور إلى ثلاثة أجزاء رئيسية هي قواعد المعرفة، وتفسير للطبيعية، وبحثه عن الأخلاق، ويمكن أن نستمد آرائه عن هذه الموضوعات من خلال الرسائل الثلاثة السابقة.

ب- فلسفته في الطبيعة:

أن مفهوم الطبيعية شاهد تحولاً هاماً مع أبيقور إذا لم يوجد تفسير الطبيعي المعطي في حاجة وجود الأمور الغيبية وفائقة الطبيعية، بحيث أصبح التفسير الفيزيائي يتلخص في فلسفة أبيقور: ألا نبحث في أي شيء فائق للطبيعية أو متستّر خلفها، وإلا نلجأ في تفسيراتنا لأصل الظواهر إلى غير ما تحدّده القوانين الطبيعية الثابتة وألا نضع حدّ للمعرفة الإنسانية، حيث كانت تلك المبادئ تبدو لنا أنها عادية، نظراً لكون العلم الحديث يتضمنها بالضرورة ويتأسس عليها فإن أبيقور هو الذي قام بوضع تلك النظريات لأول مرة بطريقة محكمة وطبقها تطبيقاً لا استثناء فيه، متحدياً بذلك العقلية اليونانية السائدة والحكمة القديمة المنادية لبقاء المرء في حدود الوضع الذي هو عليه، دونما محاولة تجاوز الحدود التي رسمتها الآلهة للوجود والقدرة والمعرفة . [10]
يعد ابيقور هو بيرومثوس الفلسفة الحقيقي إذا أنه باعتباره مثل: " هيغل " فيما بعد، حيث أنه لا شيء يستطيع أن يتصدى لشجاعة المعرفة، وقد أقام الخطية اليونانية الموصوفية، وفي قصيدة " الوكراس " كان تمجيداً وإجلال لا ينقطعان للفيلسوف اليوناني الذي كان أول من تجرأ تحدي على الآلهة، وعرض عن توقفه هي الخرافات حول الآلهة والصواعق وهدير السماء حيث أن أبيقور قام باستبعاد فكر الخلق الإلهي للطبيعية، بحيث ندد بالتطور المركزي الإنسان لأننا" سنتيه بعيداً عن الحقيقة إذا ما تصورنا أن الشيء الذي قادته الآلهة في خلفها للعالم هو مصلحه البشر فالعالم الآلهة أبداً وإرادة الآلهة من أجلنا لاسيما وأنه حافل بالعيوب. [11]

يقول أبيقور في رسالته إلى" هيرودوت " التي أوردها" ديوجين لا يرتوس "، ما لم يكن بنا حاجة إلى التخلص من خوف الموت والآلهة لما بحثنا عن الطبيعة، وقد رجع في ذلك إلى الأساس الذي اعتمدت عليه الطبيعة الأيونية من أنه لا يوجد شيء في العدم ولا ينتهي شيء إلى العدم، أي أن الكون أزلي أبدي ولكن أبيقور لا يقول بعالم واحد كما يقول أفلاطون وارسطو من يرى أن هناك عدداً لا نهائياً من الأكوان تتكون وتفني من عدد لا نهائي من الذرات المتحركة في فراغ لا نهائي . [12]
ولا تعدو الطبيعيات عند أبيقور أن تكون نسخاً للفيزياء، أما طبيعيات ديموقريطس حيث يقول شيشرون " أن أبيقور في دراسته للطبيعية كما يظهر كل غروره، إنساناً جاهلاً حق الجهل فمعظم ما يقول يعود إلى ديمقريطس وهو كلما أبتعد عنه أو أراد تصحيحه شوهه وخرفه . [13]
ويرى مايبو أن " ما قدمه الأبيقور إلى المذهب الذري هو منطلق للمذهب المادي نفسه، وكان يكفيه ألا يتعرف بالتطور الطبيعي بأي مبدأ عد الطبيعة ذاتها كي يجد نفسه منقادا غنوه نحو طريقة التركيبات الجزئية. [14]
ولقد اكد ماركس في أطروحته حول التباين الموجود بين فلسفه الطبيعة عند ديمقريطس، وعند أبيقور على هذا الحكم القديم الذي يحد من قيمة الطبيعة لدى أبيقور، ولا يرى فيها إلا صورة مشوهه للطبيعية عند لوقيبوس وديمقريطس .

([9]) جلال الدين السعيد: أبيقور رسائل الحكمة: مرجع سابق، 22-23.
([10]) جلال الدين السعيد: أبيقور رسائل الحكمة، مرجع سابق، ص 60.
([11]) لوكراس: في الطبيعة الاشياء، الباب الأول، من بيت 62، نقلاً عن جلال الدين السعيد، ص 62 .
([12]) جمال المرزوقي: دراسات في الفلسفة اليونانية ، دراسات في الفلسفة اليونانية، القاهرة، سنة 1997 ، ص 194.
([13]) جلال الدين السعيد: أبيقور رسائل الحكمة، مرجع سابق، ص 60.
([14]) ماينو: تاريخ الفلسفة الذرية ص٢٧٠-٢٧١.

ولقد كان الابيقور رغم رود فعله الفضة حسب بعض المؤرخين ورغم تكوينه العصامي حسب زعمه الخاص، يمجد ديموقريطس ويجله نظراً لكونه أول من أثبت المبادئ الأصلية للوجود الطبيعي، إلا أن هذا الفيلسوف لم يفلح دائماً لتفسير الكون السائد وتكون الاجسام، فما كان أبيقور إلا أن يعدل رؤاه وتصوراته الخاطئة، وأن يدخل معه في نقاش حاد، وعلى آية حال بالرغم الاختلافات بين أبيقور وديمقريطس حول أصالة ما اقتبسه أبيقور من ديموقريطس وما أتى به من جديد، فإنه ينسب إليه حتى يكون الحكم عليه حكماً سليماً.

ج- نظرية الذرة:

يبيّن أرسطو في كتاب ما بعد الطبيعة أن المذهب الذري ينطلق من تفسير الأشياء وتعليله للظواهر الطبيعية من الطبيعية ذاتها أي من الطبيعة مما هي كثرة وتعدد حركة دائمة، مما يعرض هذا المذهب للوقوع في صدام مع المذهب الأيلين القائل بالوحدة والثبات، وبناء على ذلك تعد آلية المذهب الذري في رأي أرسطو طريقة للخلاص من مفارقة الفلاسفة الأيلين المصرحين بأن الوجود ثابت .[15]

يقول أبيقور أن هناك من الأجسام، أجسام المركبة ومنها عناصر تتألف منها الأجسام المركبة، وهذه لا تقبل القسمة ولا التغير، وذلك لأن لا شيء يمكن أن يزول في العدم، ولأن بعد تحليل المركبات يجب أن تبقى دائماً أجسام ذات بعد، لا تغير تحلل المركبات يجب أن تبقى دائمة أجسام ذات طبيعة متراصة أو ملتحمة لا تقبل الانحلال بأي حال من الأحوال، وبناء عليه فإن هذه العناصر هي بتمام الضرورة مبادئ الأجسام. [16]

وينطلق أبيقور من نفس المبدأ الذي قال به السابقون من الفلاسفة اليونان: أنه لا يوجد شيء من العدم ولا ينتهي شيء إلى العدم، فالمادة عنده باقية وتتكون من ذرات منفصلة لا تحصى عدداً وهي مركبة ولكنها لا تقبل الانقسام، وعلى الرغم من أن الاختلاف بين أشكالها محمود على عكس ما ذهب إليه ديموقريطس، إلا أنه مع هذا لا يمكن حصر هذه الأشكال، وهذه الذرات القديمة باقية لا تندثر وهي أيضاً موجودة متفرقة في كل مكان فهي ليست بالضرورة مجتمعه، وبالذرات في فراغ بحيث يمكن لها أن تتحرك من مكان إلى مكان، وهي تتصادم.

إذا مات إنسان انفصلت الذرات التي تتألف منها نفسه، وتوزعت كما تتفرق الذرات التي يتألف منه بدنه، والآلهة نفسها عند أبيقور تتألف من ذرات، وذرات النفس دقيقة جداً ومجتمعه في حين أن ذرات الجسم لطيفة موزعة في البدن كله، فالكائنات الروحانية،" كالآلهة والنفوس والعقول " لا تختلف عن الكائنات المادية إلا في دقة الذرات التي تتألف منها . [17]

وتعد الذرة حقيقة واقعية لا تقبل القسمة فهي صلبة ومتراصة، لا يداخلها خلاء ولا أي مجال فاصل ولا يقبل التغير، فالأجسام المركبة هي وحدها التي تقبل التغير الذي يلزم عند تبدل في صنع أجزائها، حيث أن الذرة لها خواص المقدار والشكل والثقل، ويجب ألا نعتقد تحت طائلة الوقوع في تناقض مع الظواهر، حيث أن الذرات هي كل المقادير، وأن الذرات لها مقادير متفاوتة بعض الشيء في وجود ذرات من كل المقادير، ليس بضرورة لتفسير فروق كيفيات الأشياء، ومن جهة أخرى لو كان ذلك لأمكن أن نرى تلك الذرات، ولكن الأمر ليس كذلك، بل لا يمكننا أن نتخيل كيف يمكن لذرة أن تصبح مرئية، أما الشكل حيث لكل جوهر ذرات نوعية، فالذرات هي البذرة التي تنشأ عنها الجواهر، وعدد أشكال الذرات لا يحصى ولكنه منتاه، وأخيراً الثقل، حيث أن ثقل الذرات هو مصدر حركة سقوطها إلى أسفل ومع أن ثقل الذرات بتغير تبعاً لمقدارها، وشكلها، فهذه التغيرات لا تتسبب في أي فرق في سرعة سقوطها، فكل الذرات تسقط في الخلاء بسرعة واحدة، لأن للذرات سرعة واحدة عندما تتحرك في الخلاء دون أن تلقي

([15]) راجع أرسطو: الكزن والفساد، ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية بارتملي سانتهلير، نقلها إلى العربية أحمد لطفي، الدار الكتب العربية، القاهرة سنة 1932.

([16]) جان بان: الفلسفة الأبيقورية، تعريب وتعليم جور أبوكسم، قدم له الأبجدية للنشر، دمشق سنة 1992، ص 68.

([17]) محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ج2، ص367.

عقبة وتماثل السرعة هذا بوجود الحركة المائلة التي يحدثها تصادم الذرات مثلما يوجد حركة السقوط الشاقولي نحو الأسفل بسببها الثقل.[18]

وعن سبب حركة الذرات فلا يرجع إلى علة مفارقة أو محرك خارجي لأنه يستبعد من مذهبه فكرة نفس كلية، أو إله هو علة لحركة العالم أو نظامه أو وجوده لذلك فهو يرجع سبب الحركة إلى طبيعة الذرات نفسها وإلى حركتها الآلية، ويرى أبيقور أن الذرات كلها مهما اختلفت في أشكالها وأحجامها وأوزانها تأخذ اتجاهاً واحد من أعلى إلى أسفل وسرعة واحدة ومتساوية، ولكن كيف تتجمع الذرات لتكون المركبات مع تساقطها العمودي بسرعة واحدة، يقول أبيقور:" يحدث ذلك عند التقاء الذرات بعضها البعض ما يسميه أبيقور بانحراف الذرات ويفسر هذا الانحراف على أنه نوع من عدم التحديث الذي يؤدي إلى امكانية تفسير الحرية في العالم الإنساني".

يوافق أبيقور ديموقريطس في القول بأن الذرات والخلاء هما أساس الأشياء وأن الأشياء تتكون إما من تجمعات من الذرات، وإما من كيانات مركبة منها يكون بين بعضها البعض فراغات كبيرة أو صغيرة.[19]

فالوجود إذن عند الذريين الكثرة والخلاء والحركة، وتلك هي المصادر الرئيسية لكل فيزياء آلية تقر بوجود الذرات مادية لها خصائص المادية الجوهرية، وبوجود قوة مركبة لهذه الذرات وصادرة عنها، وبوجود الخلاء الذي يسمح بالتنقل والتجمع والتركيب، ويقول أبيقور عن الوجود الذري: تنقسم الأجسام إلى أجسام مركبة والأجسام مركبة أخرى تتكون منها أجسام المركبة الأجسام الثابتة التي لا تتجزأ ولا تتغير وهو ما ينبغي الإقرار بيه إذا ما أردنا الأ تستحيل الأشياء عليها إلى اللاوجود، وأن تبقى على العكس بعد انحلال المركبات إلى عناصر صلبة، ذات طبيعة متماسكة، ويتعذر انحلالها بأي وجه من الوجوه، وعليه، وعليه فإن العناصر اللأمتجزئة في جواهر الأجسام .[20]

ويجعل ابيقور من فكرة الجسم وفكرة الخلايا مذهبه في وجود الطبيعة أما عن الجسم يقول عنه أبيقور إنه يمكن أن ينحل ولكن هذا الانحلال أو التقسيم لا يمكن أن يستمر إلى غير نهاية، بل لابد من الوقوف عند حد، وإلا لما أمكن وجود شيء، فقال بأن الأجسام الفردية هي الذرات وهي الأصل في الكون، ولا تقبل الانقسام وهكذا وجد أبيقور في مذاهب الطبيعيين القدماء مصدراً لفلسته الطبيعية، إذا اعتق مذهب ديمقريطس ولكن بطريقة مخالفة بعض الشيء لما فعله ديموقريطس نظراً إلى الخلاء والملاء على أنهما يدلان على اللاوجود والوجود، أما أبيقور فلم يرتفع إلى هذا المستوى الميتافيزيقي، بل اقتصر على النظر إلى المسألة من ناحية فيزيائية طبيعية سطحية، فنظر إلى الخلاء على أنه الخلو من المادة، ولم يستطع بعد ذلك أن يتخلص من المشاكل الكثيرة تأتي بأثرها هذا التصور للخلاء.[21]

أما عن صفات الذرات فلا يمكن تحديدها الا من حيث الشكل والحجم والوزن والأشكال عددها محدود، أما فيما يتعلق بالحجم فهي ليست من الكبر بحيث يمكن تقع تحت حواسنا، ولها أوزان خاصة، لا ترجع إلا حركه السقوط، ولما كانت الذرات لا نهائية العدد ومتحركة الحركة منها عوالم لا نهائية العدد قد تشبه عالمنا أو قد تختلف عنه.[22]

لهذا كان يرى أبيقور في هذا الصدد التميز بين الأعلى والأسفل، تميز مشروع لا شك أنه ليس في العالم غير متناهي أعلى وأسفل مطلقان، بمعنى أنه ليس هناك مكان هو أعلى لأمكنه كلها يبدو أن التمييز بين أعلى وأسفل هو تمييز مطلق، إذ إلا يبدو لنا مطلقا، وكأنه قائم في الاتجاه الذي يرتفع فوق رؤوسنا، إذا ما امتد هذا الاتجاه إلى ما لا نهاية له، وعلى هذا النحو بالإمكان التمييز بين الحركة إلى أسفل والحركة إلى أعلى، وهذا يعني أنه من المؤكد أن الذرات تتحرك بحكم ثقلها نحو أسفل العالم.[23]

([18]) جان بران: الفلسفة الأبيقورية، مرجع سابق، ص69.

([19]) (Zellar,op,cit, p235.

([20]) جلال الدين السعيد، مرجع سابق، ص 64.

([21]) عبد الرحمن بدوي، خريف اليوناني: ط5، دار القلم بيروت ووكالة المطبوعات الكويت، سنة 1979، ص 55-56.

([22]) جمال المرزوقي: دراسات في القسمة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 195.

([23]) شارل فرنر: الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، ط1، منشورات دار الأنوار، بيروت، سنة 1968، ص 199.

ويبدو أن سقوط الذرات ليس الحركة الوحيدة التي تتميز بها فهناك عدا الحركة التي يحدثها ثقل الذرات، حركة يحدثها التصادم، فالذرات تتلاقى فيما بينها وتقفز بعد اصطدامها بسبب صلابتها المطلقة، إن هذه هذا التلاقي الذي تتلاقى به الذرات هو الذي يحدث امتزازجاتها المختلفة ويؤدي إلى نشوء الاشياء.[24]
إذ أن الحجم والشكل والوزن هي خاصيات الذرة عند أبيقور، فالخاصية الأولى متعلقة بكل وجود مادي وبكل وجود متشكل، أما الخاصية الثانية تسمح بوجود تباين بين الأشياء وبالفصل بين الأصناف والأنواع، أما الخاصية الثالثة فهي أصل الحركة وأصل السقوط واصطدام الذرات بعضها البعض وتجمعها وتكتلها، فالثقالة هي التي تفسر مع الانحراف وقابلية حركة الذرة، فمن طبيعة أي جسم أي أن يمارس ضغطاً من الأعلى إلى الأسفل، أي أن يتحرك وأن يدفع ما يتعرضه نحو الأسفل، على خلاف الخلاء الذي لا حركة له ولا دفع لأنه بلا ثقل وتأسيساً على كون الذرة فاعلة بثقلها فهي ثقيلة بحجمها، وحجمها يتحدّد بشكلها وهكذا يكون الشكل الخاصة الحاسمة والخاصة التي يترتب عنها كل الخاصيات الاخرى " باستثناء الانحراف " .[25]
يقول أبيقور حول فكرة الانحراف:" إنه لكي يفسر امكان اجتماع الذرات بعضها مع بعض من أجل تكوين الأجسام، لابد من افتراض أن في ذرات قدرة خاصة على الانحراف عن مسقطها الطبيعي، وعن طريق هذا الانحراف، تجمع بعضها مع بعض من أجل تكوين الأجسام، كما اضطر أبيقور إلى القول بهذا.

ثانياً: المدرسة الرواقية:
يعد المذهب الرواق ليس من صنع رجل واحد، إنما هو جملة نظرات متعددة الينابيع وتطور على مر الزمان، واصطبغ الكثير من أجزائه بألوان مختلفة وقد اصطلح على تقسيم المذهب الرواقي إلى ثلاثة عصور كبرى: الرواقية القديمة ومدتها من سنة 322 إلى سنه 204 ق. م، والرواقية الوسطى ومدتها القرنان الثاني والأول قبل الميلاد، والرواقية الحديثة وتمتد المدارس اليونانية عام 529 بعد الميلاد.[26]
يتضح تأثير الفلسفة الرواقية بالأفلاطونية في نظريتهم الطبيعية والأخلاقية فالكون الذي تصوره أفلاطون في " تيماوس " على أنه كائن فيه نفس وعقل لا يجرى الحدوث فيه بطريقة عشوائية وإنما على أساس خطة وتدبير إلهي قد أنتهى إلى نظرية تغيير أتباع العقل والتدابير الإلهي كما تذهب فلسفة الرواقية لتفسير الطبيعي.[27]
ونحن لن نقف عند أعلام المدرسة الرواقية لأنهم كثر، وإنما سنعرض لجملة آراء تلاميذهم حيث أن كل المؤلفات التي كتبها لم يبقى منها شيء الا شذرات ضئيلة .[28]

أ- نشأت مدرسة الرواقية:

يعتبر زينون من قبرص هو مؤسس المدرسة الرواقية وهو يوناني من أصل فينيقي وقد ولد حوالي 432 ق. م، وتوفي عام 270 ق .م، ويقال إنه سار في طريق الفلسفة لأنه فقد كل أملاكه في حادث غرق سفينة، أتى إلى اثينا وتعلم الفلسفة على يد كراتس الكلبي واستيابو من ميجار وبوليمون من الأكاديمية، وفي الانحراف من ناحية أخرى من أجل تفسير الحرية الإنسانية بمعنى إمكان قول نعم أو لا، وأكد هذه الحريات بخلاف الرواقين عن الطريق الأصلي، وبهذا أدخل أبيقور في مذهبه الألي فكره روحية في الواقع، لأن هذا الانحراف صادر عن طبيعة الذرات نفسها، وصادر عنها لا بطريقة ضرورية، وإلا لكان ذلك تناقضاً في الحدود، أن يقال انحراف بالضرورة وإنما هذا الميل ستأتي من جانب الذرات كما تشاء.[29]
وبالرغم من أن نظرية الانحراف قد جلبت إلى المدرسة من قبل خصومها وخاصة من شيشرون أقصى سخرية حيث وصفها بالخرافية، إذ بدت وكان تلجأ إلى حل يائس في لحظة لا محدده وبدون سبب يمكن

([24]) نفس مرجع سابق، ص200 .
([25]) أرسطو: ما بعد الطبيعة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1955، ص 41 .
([26])عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، سنة 1959 .
([27]) أمير حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة 1967، ص 412 .
([28]) مصطفى لبيب عبدالغني: في فلسفة الطبيعة عند الرواقيين، دار الثقافة والتوزيع القاهرة، بدون تاريخ، ص 13 .
([29]) عبدالرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، دار القلم، بيروت وكالة المطبوعات الكويت، سنة 1979 م، ص 60 .

لكل ذرة أن تنحرف ولو قليلاً عن خط انحدارها وهكذا تصـــطدم بذرات أخرى، وبالرغم نظرية أبيقور في الانحراف لكن هناك عنصر جديد للعليلة من مساوئه وهو لا يمكن التكهن به ولا يمكن تفسيره على الاطلاق، مع ذلك فان أبيقور يحث على مبدئه مرة أخرى بطريقته الخاصة . [30]

يقول لوكريتوس متســـائلاً " إذا كانت الذرات بانحرافها لا تأخذ بمبادرة حركة تحطم قوانين القدر لتمنع تتابع العلل اللامحدود، فمن أين تأتي هذه الحرية التي منحت على الأرض لكل ذي نفس أقول من تأتي هذه القدرة المنتزعة من الأقدار والتي تجعلنا نذهب حيثما تقودنا إرادتنا وتســـمح لنا بأن نغير اتجاهنا، كالذرات دونما تعين لا بالزمان ولا بالمكان بل طبقاً لمشـــيئة فكرنا عينه " على هذا لم تكن النفس مدارة بضرورة داخلية، وإذا لم تكن ترد إلى انفعالية تامة، فهذا أثر هذا الانحراف الطفيف للذرات " .

حوالي عام 300 ق. م، أســس مدرســة في رواق ومن هنا جاء اســم الرواقية، ولقد مات منتحراً، وكان كريسـيوس رجلا له إنتاج هائل وعمل دراســي ضـخم وغلقت ألف أكثر من سـبعمائة كتاب ولكن فقدت جميعاً وبالرغم من أنه ليس مؤسس المدرسة إلا أنه يعد العمود الفقري وهو الرئيسي في فلسفة الرواقية، ولقد جذبت المدرســـة العديدين من الإتباع، وازدهرت لعدة قرون لا في اليونان وحدها، بل فيما بعد في روما حيث كبار الكتاب مثل ماركوس ماركوس وأوروسنيكا وابيتتوس وهم يعدون أنفسهم من أتباع هذه المدرسة. [31]

ولقد كانت لزينو مؤلفات كثيرة فقدت كلها ولم يبق منها ســـوى عناوينها منها ما يذكره ديوجينيس اللايرســـي " في الحياة وفقاً للطبيعة " " في الانفعالات " في الواجب " في القانون " وفي التربية " "والكون "، وقد كرم الاثينيون زينز تكريماً عظيماً حتى أنهم سلموه مفاتيح جدران المدينة ووهبوه تاجاً من الذهب وصـــنعوا له تمثالاً من النحاس، كذلك مواطنيه أقاموا تمثالا له يرون أنهم يزينون مدينتهم بتمثال رجل مثله، وقد نافسهم مواطنو صيدا في هذا المجال .

زهرت المدرسـة الرواقية بزعامة " اقريسـيبوس "282 - 209 والذي لد في " سـولس " حيث كان أبوه قد هاجر من طرسـوس من أعمال" كلينيكية " ودخل المدرســة فرفع من شــأنها بتعليمه القوي وكتبه الكثيرة، واسـتحق لقب المؤسـس الثاني للرواقية، ولم يبقى لنا من كتبهم على كثرتها سـوى بعض العناوين والشذرات لذلك يصعب تعيين نصيب كل منهم المذهب كما أمكن تركيبه . [32]

ولقد لعبت المدرسة الرواقية دورين كبيرين هما" دور الرواقية اليونانية، ودور الرواقية الرومانية ويمثل الدور الأول مؤســس مذهب الرواقية وهو زينون الرواقي، ثم تلميذه كليانتس، وقد أقدر على التحصـــيل وأقل في درجة للفهم، وأخيراً كريســـفوس، الذي يعد المنظم والواضـــح لكل أجزاء المذهب الرواقي، خصـــوصـــاً لأن المنهج الذي اتبعه وطريقه البرهنة التي كانت خاصـــة بها، أما فيما يتعلق بالرواقية الرومانية فيمثلها على الأخص شخصيات رومانية ثلاث هي: ايكتاتوس ثم سينكا ماركس، ولم يستطيع المؤرخون أن يبينوا تطور الفلسفة الرواقية، ولا أوجه الاختلاف العديدة بين كبار مؤسسيها خصوصاً فيما يتصـــل بالدور الثاني، لأنه لم تبق لدينا آثار يعتد بها من هذا الدور، فما لدينا عن الفلســـفة الرواقية ينحصـــر فيما خلّفه لنا الرواقيون الرومانيون، وما تركه الخصـــوم أو الشـــراح أو المؤرخون من أقوال تتعلق بمذهبهم، وهنا نلاحظ أن ما تركه الرومانيون قد كان ذلك بعد أن أخذت المدرسة وجهة أخرى بأن أصبحت تميل إلى العمل وأقل نظرياً، وحرصاً على التفكير الفلسفي الصرف، بما كانت عليه في الدوري اليوناني. [33]

المذهب الرواقي آراء منطقية وميتافيزيقيا وطبيعة، ولكن الأخلاق هدفه الأســـماء وليس للموضـــوعات الأخرى من قيمة إلا بمقدار ما تتعلق بالأخلاق، ويفرق الراقيون بين الظن والمعرفة، وأن المعرفة ليست معرفة المعقولات التي يصـــل إليها العقل كما ظن أرسـطو ولا معرفة المثل كما زعم أفلاطون، إنما هي معطيات الحواس فالإحســـاس في المعرفة الطبيعية، وهو إدراك وحكم وتأكيد وكما في التفســـير الطبيعة

([30]) بيار بويانسي: أبيقور، ترجمة بشارة صارجي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة 1980، ص30 .

([31]) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد المؤسسة الجامعية، ص279.

([32]) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 277.

([33]) عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 11.

الرواقي فإنها تختلف عن تفسير الطبيعة عمن أبيقور التي تسيرها قوانين آلية عمياء وتنفي العناية الإلهية كما تنفي الغائية للكون. [34]
نلاحظ أن الاختلاف بين الرواقيين يظهر واضحاً في أول مسألة من مسائل الفلسفة ونقصد بهذا الغاية من الفلسفة وترتيب أجزاء الفلسفة بعضها بالنسبة إلى بعض .
فيلاحظ أولاً الرواقية يمتاز مذهباً بثلاث مسائل رئيسية: الأولى أن الفلسفة الحقيقية هي الفلسفة العلمية، والثانية أن الفلسفة العلمية هي التي تقوم عن المطابق للعقل، والثالثة أن العمل المطابق للعقل هو الذي يجري بمقتضى فلسفة العلمية، وذلك أن الرواقيين ينظرون إلى الفلسفة بوصف أنها الأخلاق، أن تكون الأخلاق أو الفلسفة بالمعنى العام هي أن يقع وفقاً لقوانين العقل وسيره بمقتضى العقل إنما يسير بمقتضى قوانين الطبيعة، ومن هنا اختلف الرواقيون فيما بينهم حول تحديد فروع الفلسفة الرئيسية أو تصنيف العلوم الفلسفية، ويقول " أرسطون الخيوسي " أن المنطق لا يؤدي إلى معرفة الحقيقة، وإنما هو أنواع من التدقيقات لا تفيد كثيراً في تحصيل المعرفة الحقيقية، فهو من أجل هذا غير مفيد، أما المعرفة الطبيعية فلا نستطيع أن نصل إليها على وجه التدقيق، وذلك لأن ماهيات الأشياء الطبيعية لا يتيسر للعقل أن يدركها على الوجه الصحيح . [35]

ب- الطبيعة عند الرواقية:

امتاز الرواقيون بأن مذهبهم في الطبيعيات مذهب صرف ومع ذلك فإن مادية الرواقيين تشبه كل الشبه مثالية أفلاطون، أو أن الرواقيين قد استعاروا جميع خواص المثالية الأفلاطونية، وعزوها إلى ماديتهم فكما أن الإنسان عند أفلاطون لا يكون خيراً ولا جميلاً إلا بمساهمته في مثالي الخير والجمم والجمال، كذلك لا يكون الإنسان عند هذه المدرسة خيراً ولا جميلاً إلا بمساهمته في مادتي الخير والجمال. [36]
وتشبه فلسفة الرواقية في تفسيرها للطبيعية مثل الفلسفة الأبيقورية، حيث يعتقدون أن كل موجود جسمي حتى العقل وفعله أن تحدثوا عن " لا جسميات " أو " معقولات " أردوا بها أفعل الأجسام، ومنها أفكار العقل وأيضا المكان والخلاء والزمان باعتبارها أوسطا وفارغة تقبل ما يملؤها، وليس لها ما للأجسام من فعل انفعال، ولكنهم خالفوا الابيقوريين في تصور المادة وأن المادة متجزئه بالفعل إلى غير نهاية، ومفتقرة إلى ما يردها للوحدة في كل جسم، وأن الجسم عندهم مركباً من مبدأين، هم مادة ونفس . [37]
وتتشكل أسس هذه المادية الرواقية من مبدأ الأفلاطوني صرف، فأفلاطون يذكر في محاورة " السوفطائي " أن الوجود الحقيقي هو الذي يفعل أو هو ماله قدرة على الفعل، إلا أنه جعل الصورة العارية عن كل أفكار مادة قادرة أيضاً على أحداث الفعل.
إلا أن الرواقيين قد أبدوا في الأساس واختلفوا مع أرسطو أفلاطون في النتائج التي استخلصوها من هذا الأساس فقالوا إن ما هو مادي وحده الذي يحدث الأثر[38]، أما ما عدا فليس له وجود حقيقي إذا كل ما هو موجود جسم، لأن الرواقيين لم يفهموا الجسم بمعنى آخر غير العادي، فالجسم عندهم هو ذو الأبعاد الثلاثة: فقولهم كل موجود جسم ينطبق إذن على كل شيء وبمعنى أنه شيء مادي ذو أبعاد ثلاثة . [39]
ويطرح هنا سؤال نفسه ما هو النوع المادة التي صنع منها العالم؟ لقد أرجع الرواقيون إلى معرفة نوع المادة إلى هيرقليطس بحثاً عن الجواب وأن النار في المادة الأولى تنشأ عنها الوجود، وكل الأشياء مؤلفة من النار، ولقد ربط الرواقيون هذه المادة بوحدة الوجود، والنار الأولية هي الله، فالله مرتبط بالعالم تماماً كما ترتبط النفس بالجسم، وأن النفس الإنسانية أشبه بالنار، وتأتي من النار الآلهة، فإن الراقيين ينكرون عدم نفاذ المادة، فما أن النفس النارية تنفذ في الجسم كله، فإن الله ناره الأولية تحيط بالعالم كله، إنها نفس العالم والعالم جسمه. [40]

([34]) جمال المرزوقي: دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 203.
([35])عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص13.
([36]) عبدالعال عبد الرحمن عبدالعال: مشكلة التوفيق والأصالة لدى فلاسفة اليونان من امبادوقليس، حتى أفلوطين، مرجع سابق، ص185.
([37]) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 281.
([38]) محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، مطبعة البيب الأخضر بمصر، سنة 1938، ص158.
([39]) عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص24.
([40]) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 281.

وعلى الرغم من قولهم بالمادة، إلا أنهم ميزوا بين المادة، والقوى التي تعمل فيها، فالمادة وحدها تكون بدون صفات، أما الصفات الأشياء المشتقة من القوة المعقولة المسماة " بالوجوس " فهي التي تنفذ من خلال المادة ويمتلئ المكان بنوعين من الحركة، حركة التكاثف تتجه إلى الداخل، وحركة التخلخل تتجه إلى الخارج، وتصدر الحركات كلها عن قوة أصلية واحدة تكشف عن وحدة العالم وارتباط أجزائه وتوافقها وهذه القوة الأصلية جسمية أيضاً وهي نفس حار أو هي النار لأن حرارتها تحيي وتحرك الأشياء . (41)

كما آمن الرواقيون بسيادة مبدأ العلّية وقالوا إن هذا الكون واحد يشتمل على كل ما هو موجود، وهو محكوم بمبدأ حي فعال وعاقل يمسك بالزمان الازلي ولكل ما يوجد ولكل ما شأنه أن يتتابع في نظام معين، والأحداث الأولية علل تلك التي تتلوها، وعلى هذا تكون جميع الأشياء مرتبطة فيما بينها بعضها البعض الأخر، وبالمثل لا يمكن لأي حادثة من الحوادث أن تكون منفصلة عما سبقها من حوادث ولا تكون مرتبطة بواحدة منها فمن كل شيء حادث يتلو شيء آخر معتمد عليه بالضرورة بما هو علة له ولا شيء يحدث في الكون بدون علة لحدوثه ولا يوجد شيء منفصل عما حدث من قبل لأن الوحدة محكومة بنظام ثابت إذ لابد أن يكون لهذه الحركة علة، بالضرورة وطبعاً لرأيهم تكون الحادثة لا معلولة مساوية في الحقيقة لما هو مستحيل شأنها في ذلك شأن الخلق من العدم . (42)

فيقول الرواقيون أن العالم حي له نفس حار، هو نفس عاقلة وتربط أجزاءه هو تؤلف منها كلاً متماسكاً في الحرارة أو النار هي مبدأ الفاعل والمادة المنفعل كانت النار في الخلاء اللامتناهي، ولم يكن عداها شيء، وتوترت فتحولت هواء وتوتر الهواء فتحول ماء، وتوتر الماء إن أصبح ثرياً، وانتشر في الماء نفس حار ولّد فيه "بذرة المركزية " هو قانون العالم " لوغوس " وأن هذا نظام الطبيعة ليدل على أنها ليست وليدة الاتفاق، ولا الضرورة العمياء، بل الضرورة العاقلة فكل ما يحدث مطابق للطبيعة الكلية. (43)

يتابع الرواقيون التصور اليوناني للطبيعة من حيث ثبات الأنواع وثبات الخصائص والطبائع، فكل ما يحدث لابد وأن يحدث على وفاق مع طبيعته النوعية ولا يمكن أن يحدث على نحو آخر، والأشياء جميعا تحدث بضرورة حتمية لاستحالة أن يتحرك ما هو طبيعي على نحو ما في حالة من الحالات وعلى النحو مختلف في حالة أخرى، وهذا القانون نفسه يصدق على الجمادات ويصدق أيضاً على الأحياء.(44)

ولما كانت الموجودات عندهم محسوسة، كان طبيعياً أن نراهم يقولون بوحدة الوجود نهايتها لا خلاء إلى خارج العالم، أما في داخله فلا، لأن الذرات تسود العالم كله، ولهذا فالله موجود في العالم، وليس شيئاً سوى هذه الأجسام ذاتها فالأشياء الإلهية عندهم هي الطبيعة كلها، لذا يمكن القول أن العلم الإلهي والعلم الطبيعي وجهان لحقيقة واحدة وهي المادة، وإذا كان الله فاعلاً في العالم فليس من جهة أنه مفارق للمادة، بل من جهة أنه لا مادة فكل علة عندهم جسم من الأجسام وكل حقيقة هي جسمانية، ولا وجود إلا للجسم وما لا جسم له فلا وجود له . (45)

وتفسر الفلسفة الرواقية الطبيعية بأن الإله هو العقل المطلق، وليس هذا بمعنى عودة إلى المثالية، وهذا لا يتضمن لا جسمانية الإله، فالعقل مثل كل شيء آخر مادي، إنه يعني ببساطة أن النار الإلهية هي عنصر عقلاني، ولما كان الإله العقل فإنه يترتب على هذا أن العالم محكوم بالعقل وهذا يعني شيئين: أولاً أن هناك عرضاً في العالم ومن هنا يأتي النظام والتناغم والجمال والتصميم، أما ثانياً لما كان العقل هو القانون مقابل اللاقانون فإن هذا يعني أن الكون خاضع لسيطرة القانون وهو محكوم بالضرورة الصارمة للعلة والمعلول والإرادة في عالم محكوم بالضرورة.(46)

---

(41) عثمان آمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، سنة 1999، ص 119.

(42) مصطفى لبيب عبد الغني: في الفلسفي عند الرواقيين، دار الثقافة والتوزيع، القاهرة، ص 35.

(43) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص281.

(44) Sextus Empiricus, Adv, Math.Ix 203(R G Bury,Leob Classical Library,London 1939 ,vol 57 .

(45) فيصل بدير عون: فكرة الطبيعية في فلسفة الإسلامية مع بيان مصادرها، ط1، مكتبة الحرية الحديثة القاهرة، سنة 1985، ص 100-101.

(46) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 281-282.

من خلال ذلك نجد أن العالم الإلهي، والنار لدى الرواقيين هما العلة الأولى والوحدة، وبما فيها من عقل وقانون وضـــرورة قدرة، وكل اولئك مترادفات يراد به المعقولية التامة في الأشـــياء، وهذه المعقولية تقتضـــي القول بالعلل الغائية، وقد قال بها الرواقيون وحشـــدوا لها الأمثلة الكثيرة من الجماد والنبات والحيوان واسـرفوا في ذلك فاخترعوا الغايات وكذلك ظنوا أن هذه المعقولية تقضـي بإنكار القوة المقابلة للفعل، وهي في الواقع غير معقولة بذاتها، ولا تعقل إلا بالإضـافة إلى العقل، وكما رفضـوا حد ارسـوا للحركة وقالوا إن المتحرك هو ما هو في كل آن أي أنه بالفعل وليس بالقوة، وما نظريتهم في كمون الأشياء بعضها بعض، وخروجها بعضها عن بعض خروج آلياً إذاً العالم إلهي معقول تماماً وهم يذكرون " الإله " بصـــلاتهم ويقصـــدون النار وقانونها أو " اللوغوس " ذلك العقل الكلي الذي وقعت بموجبه الأحداث الماضية وتقع الأحداث الحاضرة وستقع الأحداث المستقبلة. [47]

فالعقل الفعال الذي يؤمن الجمال والانسجام في الطبيعة، وهذا العقل هو الله، فالله ليس خارجاً عن الكون، بل هو حال فيه تغلغل في جميع أجزائه، ومن هنا يصـــل الرواقيون إلى هذه النتيجة وهي أن الله والعالم الطبيعة شيء واحد، فمن خضع لقوانين الطبيعة فقد أطاع الله وسار وفقاً لمقتضيات العقل . [48]

ويعد الرواقيين العقل ناراً إلهياً حكيمة منظمة، تلتهم العالم في نهاية ســـنة الكبرى، ثم تعمل تكوين عالم جديد الى ما لا نهاية له، وكل كائن حي مؤلف من هذين العنصرين فهو في جسده جزء من المادة الكلية، وفي نفســـه جزء من النار الكلية العاقلة، أما الإنســـان فإنه يفوق جميع الكائنات الحية لأنه يتميز بالعقل وهو جزء من الطبيعة الإلهية . [49]

مجمل القول في طبيعيات الرواقيين أن نظراتهم على الكون بسـيطة يسـهل تصـورها، فالعالم مؤلف من أجسـام مادية، أودع فيها قوة، فإذا حاز الجسـم صـفة من الصـفات فذلك راجع إلى ما كان فيه من مواد دقيقة كالغاز أو البخار والأجسـام تسـتطيع أن تتداخل بعضـها في بعض، والعالم لا خلاء فيه هو محاط بفضـاء لا نهاية له، واللاجسميات لا فعل لها ولا أثر إنما الفعل للأجسام، فالطبيعيات الرواقية ديناميكية كالطبيعيات أرسطو، ولكن مع فارق هو أن أرسطو يرى أن العله الصـحيحة لنشوء الأشياء هي الغاية التي يحققها ذلك النشـوء، وهي الغاية اللامتحركة اللامادية وهي شـيء لم يوجد بعد، ولكنه سـيكون بعد الحركة، أما الرواقيون فلا يرون إلا العلل الفاعلة التي تحدث معلولاً، والعلة المادية فيها ما يلزم لإحداث المعلول، وإذ كان أرسطو قد قال بما للغاية اللامتحركة وللصـورة من أثر في نشـوء الأشـياء، فذلك لأنه كان يعتقد أن المادة يمكن أن تنتقل في مختلف الإلهيات، ولكن نجد أن الرواقيين يرون أن المادة لا تحدث شيئاً آخر غير نفسها وأنها لا تتحرك في جهات كثيرة، بل جسم حاضر في كل مكان في الكون . [50]

الخاتمة:

انطلاقاً مما سبق، فبالرغم من وجود اختلافات بين أبيقور وديمقريطس حول مفهوم الطبيعة والذرات من حيث صفاتها وأشكالها وأوزانها، وعلى مشكلة العلية والجبرية، إلا أنهما يتفقان معا في التسليم بفكرة قدم العالم وأبديتـه، فلا مجـال لديهمـا للقول بفكرة الخلق أو الأحداث في الزمـان، ويرجع هذا الموقف إلى اعتقاد كل من ديمقريطس وأبيقور بأن العالم ليس من صـــنع الآلهة، بل هو موجود منذ الأزل بدون أن تتدخل الآلهة في إيجاده وحركته، وعلى أيه حال فإنه يبدو أن ســـيطرة النزعة الأخلاقية على التفســـير الطبيعي عند أبيقور كانت سـبباً في اختلاف موقفه عن ديموقريطس في نظرته إلى طبيعة العالم وجبريته الآلية، وعلى نظرية الانحراف اختلف حولها المؤرخون هي من وضـــع أبيقور وأم أنها إضـــافة قام بها بعض تلاميذه؟ والمؤكد أنه لا يوجد أثر لهذا النظرية في أي من الشذرات التي وصلتنا عن أبيقور.

ويرى الذين ينفرون من أن ينســـبوا هذه النظرية إلى أبيقور، لأنهم يجدونها مناقضـــة لبقية جوانب طبيعياته، أو أولئك الذين يحكمون عليها بأنها غير لازمة يوجهون لها مأخذين من جهة أولى، تظهر هذه النظرية أنها تدخل نصـيباً من اللامعقولية في فلسـفة تسـعى إلى معرفة الطبيعة ومن جهة ثانية تحل عقدة

([47]) يوسف كرم: نفس مرجع سابق، ص282-283.

([48])جمال المرزوقي: دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 204.

([49])أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، مرجع سابق، ص410.

([50])عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مرجع سابق، ص 175.

مشكلة حلاً خرافياً بأن تدس إليها ما تنزله على المسرح الأحداث في مركبة آلية، بحيث أن فلسفة أبيقور بمقدار ما هي مذهب طبيعي يطلب إلينا أن نعيش في وفاق مع الطبيعة، تجعل من الطبيعة معياراً، بل حكمة لهذا تلقى في المذهب الابيقوري شيئاً من إعلان مبادئ غائي .

كما نلاحظ أن الرواقيين قد أخذوا في نظرياتهم في الطبيعية عن أرسطو أكثر مما أخذوا عن هيراقليطس، وهذا كان متوقعاً بالنظر في التفسير العلم الطبيعي في عصرهم، وأنهم ابتعدوا في نظرية العناصر الأربعة، وأنه ليس من الممكن أن يفترضوا العنصر الخامس الأثير، لهذا فإنهم قاموا بالتميز بين النار الأثير والنار، حيث أن الأولى تتحرك دائرياً، والثانية في خط مستقيم، وأن الرواقيين قد أكدوا كثيراً على أن الجواهر العنصرية تتحول باستمرار من مكان واحد إلى آخر، وعلى أن كل الأشياء في حالة تغيير دائم لا ينقطع، وأن هذا هو ما يقوم عليه بعض ترابط العالم، ولهذا نجد أن الرواقيين لم يرغبوا لا في إنكار بعض حالات الثبات في بعض الأشياء، ولا في الحد من ميدان التغير الدائم من قصره على عالم ما تحت فلك القمر. (51)

أما بالنسبة لما أخذوه عن هيرقليطس فيبدو أن فكرة الطبيعة عندهم اقتربت إلى حد كبير من فكرة الطبيعة عند هيرقليطس . (52)

فإذا كانوا يقولون بالنار مبدأ للوجود فقد سبقهم إلى ذلك، واذا كانوا يقولون بالحركة المستمرة فإنه سبقهم إلى هذا أيضاً، كما أخذ الرواقيون بفكرة الاحتراق الكوني ثم عودة الدورة الكونية من جديد وهي فكرة العود الأبدي التي قال بها امبادوقليس،(53) وأقام الرواقيون نظرية في معرفة التفسير الطبيعي على الأساس الحسي، ومن هذا الأساس قاموا ببناء مذهبهم في الطبيعة، وبحثوا في الأشياء، وسبل لوصولهم إلى معرفة تفسير الطبيعة، حيث كانت آراؤهم حول الطبيعة تبدو إحياء لمذاهب السابقين خاصة مذهب هيرقليطس وقد تأثروا به كثيراً.

ويمكن تلخيص انجاز الرواقيين بالقياس إلى إنجازات السابقين فيما يتعلق بمعرفة الكون في نقاط الآتية:

- حيث أنهم قاموا بتحليل أكثر دقة ونفاذاً للعلاقة بين العلة والمعلول، وأن تفكيرهم يقترب من فكرة القانون الطبيعي، ووسعوا نطاقها لتصبح نموذجاً حتمياً عاما.
- كان الرواقيون من خلال تأويلهم للتكهنات والتنبؤات، أول من يقرر بوضوح علاقة " القانون العلمي بالاستقراء.
- أنهم بحثوا في فكرة الممكن وعلاقته بالضرورة.
- أنهم اول من انتقال من الفكر العلي إلى الفكر الوظيفي فالمعلول يمكن التعبير عنه باعتباره فعلًا. (54)

المراجع والمصادر

1- ماجد فخري، أرسطو المعلم الأول الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1977.

2- جلال الدين السعيد: أبيقور رسائل الحكمة، دار العربية، القاهرة، سنة 1991 م.

3- ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة سنة 1987.

4- جان بران: الفلسفة الأبيقورية، تعريب وتعليق جور أبوكسم، قدم له عدل العوا الأبجدية للنشر، ط1، دمشق، سنة 1992.

5- لوكراس: في الطبيعة الاشياء، الباب الأول، من بيت 62، نقلاً عن جلال الدين السعيد، ص 62.

6- جمال المرزوقي: دراسات في الفلسفة اليونانية، دراسات في الفلسفة اليونانية، القاهرة، سنة 1997.

7- أرسطو: الكزن والفساد، ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية بارتملي سانتهلير، نقلها إلى العربية أحمد لطفي، الدار الكتب العربية، القاهرة سنة 1932.

(51) Zwller, Op, cit, p217.

(52) فيصل بدير عون: فكرة الطبيعية في فلسفة الإسلامية مع بيان مصادرها، مرجع سابق، ص108 .

(53) أميرة حلمي مطر: فلسفة عند اليونان، مرجع سابق، ص400 .

(54) مصطفى ليبي عبدالغني، في فلسفة الطبيعية عند الرواقيين، مرجع سابق، ص43-44 .

8- محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ج2، سنة 1967.
9- عبد الرحمن بدوي، خريف اليوناني: ط5، دار القلم بيروت ووكالة المطبوعات الكويت، سنة 1979.
10- شارل فرنر: الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، ط1، منشورات دار الأنوار، بيروت، سنة 1968.
11- أرسطو: ما بعد الطبيعة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1955.
12- عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، سنة 1959.
13- أمير حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة 1967.
14- مصطفى لبيب عبد الغني: في فلسفة الطبيعة عند الرواقيين، دار الثقافة والتوزيع القاهرة.
15- بيار بويانسي: أبيقور، ترجمة بشارة صارجي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة 1980.
16- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية.
17- عبدالعال عبد الرحمن عبدالعال: مشكلة التوفيق والأصالة لدى فلاسفة اليونان من امبادوقليس، حتى أفلوطين.
18- محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، مطبعة البيب الأخضر بمصر، سنة 1938.
19- فيصل بدير عون: فكرة الطبيعية في فلسفة الإسلامية مع بيان مصادرها، ط1، مكتبة الحرية الحديثة القاهرة، سنة 1985.

المراجع باللغة الإنجليزية:

1-O, Amine m La Stoicism et Pensee Mosul Mane La Revue Thomiste No, 1959 ,p82.
2- Anton Dumitriu History Of Logic,Engl.trens,Abacus Press, Tunbridge WII, Kent England, 1977,v,I,P216 .
3- Sextus Empiricus, Adv, Math.Ix 203(R G Bury,Leob Classical Library, London 1939-47,vol .